جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
- 1 -

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

محاضرات موجهة

لطلبة السنة الثانية ماستر ل م د

تخصص: أنثروبولجيا ثقافية واجتماعية

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

مقياس:

الثقافة والشخصية

إعداد الدكتور:
غفور عبد الباقي

السنة الجامعية: 2021-2022

فهرس المحتويات

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
- 1 -
تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المحتويات	الصفحة
فهرس المحتويات	2
تقديم حول المطبوعة	4
المحاضرة الأولى	
1. مقدمة.	5
المحور الأول: الثقافة.	
المحاضرة الثانية:	
2. مفهوم الثقافة.	14
1.2. التحديد اللغوي العربي لمفهوم الثقافة.	17
2.2. التحديد الأنثروبولوجي والسوسيولوجي لمفهوم الثقافة.	18
3.2. التعريف النفسي-السيكولوجي للثقافة.	22
المحاضرة الثالثة:	
3. خصائص الثقافة.	23
المحاضرة الرابعة:	
4. وظائف الثقافة.	31
المحاضرة الخامسة:	
5. قطاعات الثقافة.	35
المحاضرة السادسة:	
6. مستويات الثقافة. (عموميات، خصوصيات وبديلات الثقافة).	39
المحاضرة السابعة:	
7. عناصر الثقافة.	49
المحور الثاني: الشخصية.	59
المحاضرة الثامنة:	
1. مفهوم الشخصية.	60

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة التاسعة:	
2. أبعاد ومكونات الشخصية.	66
3. خصائص الشخصية.	67
4. العوامل المؤثرة في الشخصية.	69
المحاضرة العاشرة:	
5. نظريات الشخصية.	70
المحور الثالث: الثقافة والشخصية.	
المحاضرة الحادية عشر:	
الدراسات التي مهدت لظهور الأنثروبولوجيا النفسية.	86
1. دراسة "برونسلاف مالينوفسكي" وعقدة أوديب: B. Malinowski	88
2. دراسة "روث بنديكت" والأنماط الثقافية.	92
3. دراسة "مارجريت ميد" Margret Mead	97
4. دراسة "مارجريت ميد" والمراهقة.	101
المحاضرة الثانية عشر:	
تابعا للدراسات التي مهدت لظهور الأنثروبولوجيا النفسية.	
5. دراسة "رالف لينتون" والشخصية الأساسية: (1893-1953).	102
6. دراسة "أبرام كاردينر" Abram Kardiner ونظرية البناء الأساسي للشخصية	103
7. "روبرت إيدجارتون" (Robert Edgerton):	105
8. شخصية سكان جزيرة "أوكيناوا" Okinawa اليابانية.	105
المحاضرة الثالثة عشر:	
أثر الثقافة في الشخصية.	107
المحاضرة الرابعة عشر:	
الثقافة والشخصية الجزائرية.	111
خاتمة.	125
قائمة المراجع.	126

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

تقديم حول المطبوعة:

هذه المطبوعة البيداغوجية الموسومة بـ "الثقافة والشخصية"، هي في الأصل عبارة عن مجموعة محاضرات لمادة مقررة لطلبة السنة ثانية ماستر (ل. م. د)، تخصص أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية.

والجدير بالذكر أن محتوى هذه المطبوعة جاء وفقا لما ورد من وصف لهذه المادة ضمن وحدات التعليم الأساسية للسداسي الثالث الخاص بعرض تكوين علم الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية.

لقد حاولنا بحكم تخصصنا من جهة، وتدريسنا لهذه المادة طيلة أربع مواسم جامعية متتالية من جهة أخرى، أن تكون محاور هذه المطبوعة متماشية مع المستوى التعليمي للطلبة، وفي الآن نفسه مع الأبعاد الإبستيمولوجية ذات الصلة بالأنثروبولوجيا كتخصص علمي قائم بذاته، انطلاقا مما توفر من دراسات وأبحاث في الموضوع، بغية التطرق لجملة من القضايا التي تنطوي عليها هذه المادة ومناقشتها.

إن المعارف المكتسبة من هذه المادة تعتبر لبنة أخرى تضاف للطالب في اكتساب النظرة الأنثروبولوجية في البحث والطرح والتحليل والنقد. وهذه نقطة نحسبها جوهرية في تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، خاصة وأن الاتجاه النفسي في الدراسات الأنثروبولوجية شهد ظهورا متميزا في الربع الثاني من القرن العشرين، مترافقا مع انتشار مدرسة التحليل النفسي التي استمد منها الأنثروبولوجيون الكثير من المفاهيم النفسية لتحديد العلاقات المتبادلة بين الفرد وثقافته في إطار المنظومة الثقافية–الاجتماعية.

وقد جاءت هذه المطبوعة ضمن ثلاثة محاور، إضافة إلى مقدمة وخاتمة وقائمة مراجع، حيث تناولنا في المحور الأول موضوع الثقافة من حيث المحتوى والمستويات بشكل أدق وأعمق. أما المحور الثاني فخصصناه للوقوف على موضوع الشخصية من حيث المفهوم، الأبعاد، المكونات والنظريات المفسرة لها. وجاء المحور الثالث ليتعرض إلى العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية لتوضيح ما للثقافة من أثر على الشخصية، وما للشخصية من أثر على الثقافة.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

الثقافة والشخصية

المحاضرة الأولى.

1. مقدمة:

تتناول العلوم الاجتماعية وبالأخص علم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم النفس ثلاثة متغيرات أساسية هي: المجتمع، الثقافة والشخصية. فالمجتمع عامة يشير إلى التفاعلات بين الأشخاص والجماعات. أما الثقافة فهي تشير إلى الأساليب التي يستخدمها الإنسان وعاداته وتقاليده وأنظمته وقيمه والطرق التي يفسر بها العالم الطبيعي والإنساني. وتتعلق الشخصية خاصة بدراسة ووصف وتحليل انفعالات وعادات واتجاهات وأفكار الفرد بالنسبة لنفسه وبالنسبة للآخرين.

وجرت العادة أن علم الاجتماع يتناول المجتمع، أما الأنثروبولوجيا الثقافية فهي تختص بالثقافة، وعلم النفس يهتم بالشخصية. إلا أن الأنثروبولوجيا الثقافية باتت تهتم بالعلاقات المتبادلة بين هذه العناصر الثلاثة. فليس هناك خط واضح يفصل بين الثقافة والمجتمع والشخصية؛ والانسان وحده هو الذي يملك أساليب للسلوك متطورة ومتقدمة باستمرار، وهي ما يطلق عليها الأنثروبولوجيون اسم "الثقافة".

ويرى "رالف لنتون" صاحب مفهوم "الشخصية الأساسية"، أنه إذا كانت الثقافة ليست هي المجتمع، فهي أقرب إلى المجتمع منها إلى الفرد الاجتماعي الذي هو صانعها. ولهذا ميز العلامة "ر. لنتون" ببراعة بين الفرد والجماعة والثقافة، وذلك لكثرة الخلط بينها لدى الباحثين، بالإضافة إلى تداخلها الوثيق، ولارتباط العلاقات والتّفاعلات التي تقوم بينها، وذلك عندما قال: "إن كل كلمة من هذه الكلمات الثلاث تمثّل اسما لكيان مختلف، كما أن لكل منها خصائصه المميزة ودوره الخاص به في الصورة الديناميكية التي تتكوّن من الكلمات الثلاث (...) فالمجتمع جماعة منظمة من الأفراد، والثقافة طائفة منظمة من الاستجابات المكتسبة يتميز بها مجتمع معين، والفرد كائن حي قادر على التفكير والشعور والفعل بذاته، لكن استقلاله الذاتي هذا مقد، واستجاباته يشكلها تشكيلا جذريا الاحتكاك بالمجتمع والثقافة

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -

اللذين ينمو فيهما".[1]

للفرد مجال محدود، أما المجتمعات والثقافات فعلى العكس، إذ هي مستمرة بدون تحديد لأجلها، فقد تتغيَر تغيَرا جذريا في تركيبها، وتعدَل تعديلا تاما في طرق حياتها، ومع ذلك فإنها تبقى حيَة كجماعة وظيفية منظمة.[2]

وإذا كانت الثقافة كظاهرة اجتماعية- نفسية تحتل مكانها في عقول الأفراد، ولا تجد تعبيرا عن نفسها إلا عن طريق الأفراد، فإنها تختلف عن الشخصية الفردية من عدة نواحي. فإذا كانت الثقافة تزوَد الفرد بمعظم المفاهيم التي تصلح أساسا لنشاطاته العقلية، فإن عمليات التفكير والاستدلال العقلية هي عمليات فردية لا ثقافية، وبالعكس، فإنَ تعلَق أفراد كثيرين بثقافة ما يعزَز من أفكارها وقيمها عند كل منهم، كما يكسبهم صفات تسمو على الفردية.

ولهذا كان من المستحيل تفسير أيَة ثقافة تفسيرا يعتمد كليا على نفسية الفرد، كما يستحيل تفسيرها دون الرجوع إلى نفسية الفرد. ففي الثقافة يلتقي المجتمع والفرد، ويسهم كل منهما بنصيبه فيها.[3]

للثقافة قدرة تتجاوز مستوى الفرد على تخليد نفسها، وعلى البقاء بعد انقراض أي من الشخصيات التي تسهم فيها، أو جميع الشخصيات التي سبق وأن أسهمت فيها خلال أية مرحلة من تاريخها، لأن الثقافة بإمكانها ذلك، نظرا لما تتَسم به من قوة التأثير والسيطرة على شخصيات الأفراد الجدد الذين وقعوا تحت تأثيرها، لأنهم ولدوا فوجدوا أنفسهم داخل مجتمع له ثقافته الخاصة.

فالطفل يولد دون أن تكون له شخصية مميزة، ولكن خلال مراحل نموَه تتكوَن لديه شخصية بسبب تفاعل إمكاناته الفطرية مع محيطه الخارجي، ولما كان الطفل عضوا في

1- كمال دسوقي، الاجتماع ودراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو- المصرية، القاهرة، 1976، ص69.

2- المرجع نفسه، ص 70. وانظر: رالف لينتون، شجرة الحضارة، ص 29.

3- رالف لنتون، دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1964، ص 384.
وانظر الترجمة الفرنسية: Linton.R, De l'homme, Paris Ed. de Minuit, 1968.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
والعلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

المجتمع، فإن بيئته تتألف من التعبيرات الظاهرية للثقافة الخاصة بالمجتمع وبالشخصيات التي سبق وأن كوّنتها تلك الثقافة.

يحتك الطفل بثقافة مجتمعه وبشخصياتها، وتساعده في ذلك عوامل أخرى أكثر فاعلية تتمثّل في التعليم والمحاكاة، وهي عوامل تخلق في شخصيته مركّبا ثقافيا من الصلات والقيم العاطفية والعادات، وهو في الوقت نفسه يصبح جزءا من بيئة تنمو فيها شخصيات جديدة ويقوم بدوره بنقل هذا المركب الثقافي إليها.[1]

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الثقافة تكون خارجة كليا عن نطاق الفرد عند الولادة، ولكنها تصبح خلال مراحل نموه جزءا لا يتجزأ من شخصيته.

والخلاصة أنه نتيجة لنسبة الثقافة إلى المجتمع –أو إلى الجماعة– أكثر من نسبتها إلى الفرد، يستبعد علماء الاجتماع عند دراستهم للثقافة الفروق الموجودة بين الأفراد، وهي الفروق التي يؤكّد عليها علماء النفس مثل: العوامل البيولوجية والفيزيولوجية، كالوراثة أو السلالة العنصرية، من موضوع الثقافة إلى حد كبير، ويقلّلون من درجة العلاقة بين التركيب البيولوجي للفرد وخصائصه الاجتماعية.[2]

ويرى "إدوارد سأبير" E. Sapir أن الثقافة تمثّل عاملا مشتركا بين عدد من العلوم كالفلسفة ووظائف الأعضاء وعلم النفس الفيزيولوجي وعلم الاجتماع وعلم النفس المرضي.[3]

ولذلك فإن أي نظرية عن "الشخصية" لا تتعاون في بلورتها علوم الثقافة وعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا، هي نظرية ضعيفة الأساس أو المنطلق النظري.

فإذا كانت الشخصية كمجموعة دلالات، متغيّرة ومتطوّرة، باعتبارها نتاجا اجتماعيا، وباعتبارها أيضا نتاجا تاريخيا، فإن المجتمع والتاريخ يعتبران كمنابع حضارية وثقافية لمكوّنات الشخصية الإنسانية؛ فالحضارة هي مبعث اتزان الشخصية أو قلقها، ومصدر

1– المرجع نفسه، ص 384. وانظر الترجمة الفرنسية: Linton.R, De l'homme, Paris Ed. de Minuit, 1968

2– كمال دسوقي، الاجتماع ودراسة المجتمع، مرجع سابق، ص 70.

3 - Edward Sapir, Anthropologie ; Traduction de l'américain par Christian Baudelot et Pierre Clinquart, Paris, Ed. de Minuit, 1971, p.71 et s.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

مخاوفها وأمراضها.[1]

فإذا كان علماء النفس يركزون على الجوانب الفردية في الشخصية، أي بما يميّز شخصية فرد ما عن باقي الشخصيات، بالإضافة إلى الاهتمام بالجوانب البيولوجية والوراثية في الشخصية، فإن علماء الاجتماع يهتمون بدراسة الشخصيات السوية في المجتمع، كما يركزون على التشابه بين الشخصيات لدى أعضاء الجماعة الواحدة، سواء كانت جماعة كبيرة أو صغيرة، ولذلك يهتمون بالأسلوب العام للأفعال التي تصدر عن الشخصية، فالشخصية عند علماء الاجتماع هي ذلك التنظيم الذي يجمع اتجاهات الفرد وأفكاره وعاداته ورغباته، وكذلك قيمه، وتصوره لنفسه، وخطته العامة في الحياة.

ويتفق علماء الاجتماع على أن الشخصية تتكوّن وتنمو من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، وبدون هذا التفاعل لا تكون للفرد شخصية، ومن هنا كان تركيزهم في دراسة الشخصية على الاتجاهات العامة، أي على التشابه في تصرفات شخصيات الجماعة الواحدة. فالاتجاه هو الوحدة الرئيسية في التنظيم، أي في الشخصية. ويقصد علماء الاجتماع بالاتجاه ذلك الميل المكتسب الذي يجعل الفرد يتصرّف بصورة معينة نحو شخص معيّن أو شيء أو معرفة.

فالثقافة والشخصية ميدان مشترك بين علم الأنثروبولوجيا من ناحية وعلم النفس من ناحية أخرى، على أساس أن علم الأنثروبولوجيا هو العلم الذي يهتم بدراسة الثقافة ويخصّص لها فرعا مستقلا هو الأنثروبولوجيا الثقافية، بينما الشخصية هي أحد المباحث الهامة في علم النفس، حتى أن هناك فرعا مستقلا من علم النفس يعرف بعلم نفس الشخصية. وربما كانت هذه الصلة هي التي جعلت بعض العلماء المحدثين يطلقون على مجال البحث في الثقافة والشخصية اصطلاحا جديدا مستلهما من هذه الصلة التي ذكرناها آنفا بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس، ليصبح لهذا المجال اسم جديد هو."الأنتروبولوجيا السيكولوجية" أو "الأنثروبولوجيا النفسية"، أو "الثقافة والشخصية".

1– قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، الاسكندرية، منشأة المعارف، 1982، ص511.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
والعلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

ويرى بعض الأنثروبولوجيون أنه يجب تسميتها "الشخصية في الثقافة" على اعتبار أن الشخصية جزء من الثقافة.[1]

إن مجال الثقافة والشخصية يهتم أساسا بالتّعرف على العلاقة بين الفرد والثقافة أو التراث الاجتماعي الشامل الذي يعيش فيه ويستجيب له بطريقة شعورية أو لاشعورية، وكذلك بكل التجارب التي مرّ بها الفرد في نطاق الثقافة التي تسود في المجتمع الذي يعيش فيه، وينظرون إلى هذا المزيج على أنه وحدة متكاملة متماسكة.

فموضوع الأنثروبولوجيا النفسية يتحدّد إذن في العلاقة بين الثقافة والشخصية، هذه العلاقة التي تسير في اتجاهين متكاملين: اتجاه يأخذ أثر الثقافة في الشخصية، واتجاه يأخذ أثر الشخصية في الثقافة.

ومن هنا فقد ساعد ظهور الأنثروبولوجيا النفسية علماء النفس في الوصول إلى فهم للمبادئ التي تحكم تشكيل الشخصية، وأثار في الوقت ذاته اهتمام علماء الأنثروبولوجيا لدراسة الأنماط الأساسية للشخصية في المجتمعات المختلفة قديمها وحديثها.

ولقد شهد الاتجاه النفسي في الدراسات الأنثروبولوجية ظهورا متميزا في الربع الثاني من القرن العشرين، مترافقا مع انتشار مدرسة التحليل النفسي التي أنشأها "فرويد" واستمد منها الأنثروبولوجيون الكثير من المفاهيم النفسية، لتحديد العلاقات المتبادلة بين الفرد وثقافته في إطار المنظومة الثقافية–الاجتماعية.

وفي الواقع إن الاهتمام بدراسة الإنسان من خلال علاقة الثقافة بالشخصية موجود لدى كل الشعوب على اختلاف أنواعها، سواء في الماضي أو الحاضر، وإن كان معظم الاهتمام موجّه في واقع الأمر إلى الشعوب غير المتعلّمة أو القديمة، خاصة تلك التي خلّفت لنا خصائص مميّزة لها ولشخصيتها من خلال تراثها الثقافي.

فقد لاحظ المؤرخ "هيرودوت" في القرن الرابع قبل الميلاد الفروق الواضحة بين العادات الإغريقية والعادات الفرعونية، وفي القرن الخامس قبل الميلاد قال أبو الطب "أبقراط" أن

1– إيكه هولتكرانس، قاموس الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1973، ص ص192–193.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
والعلوم الاجتماعية

الأوروبيين أكثر شجاعة من الآسيويين، ويرجع ذلك إلى عامل التشابه والتجانس الذي يولّد الإهمال والراحة في المجتمعات الآسيوية، وإلى عامل التنوع الذي يولّد التّحمل والاجتهاد في المجتمعات الأوروبية. إن الراحة والإهمال هما غذاء الجبن، أما التّحمل والاجتهاد فهما غذاء الشجاعة.

وفي القرن الأول الميلادي قام "قاسيتوس" بمقارنة سلوك القبائل الجرمانية الشمالية بأسلوب الحياة في مدينة روما.

تمثّل الأفكار السابقة تأملات قائمة على الملاحظات العامة للخواص النفسية والاجتماعية للشعوب المختلفة، ولا تمثّل حقائق قائمة على طرق البحث العلمي. ويمكن القول أن أوّل من نادى بأهمية دراسة موضوع الثقافة والشخصية دراسة علمية كان الأنثروبولوجي الأمريكي "لزلي هوايت"، الذي نشر رأيه في مقالة له بعنوان "الشخصية والثقافة" في عام 1925 في إحدى المجلات العلمية. وفي عامي 1932 و1933 نظّم الأنتروبولوجيان الأمريكيان "سابير" و"دولارد" حلقة مناقشة حول موضوع "الثقافة والشخصية" في جامعة "ييل" الأمريكية، وقد موّلت مؤسسة "روكفلر" تلك الحلقة، واشترك فيها بعض العلماء الأوروبيين. وفي عام 1933 نشر العلامة "توماس" تقريرا بعنوان "حول تنظيم برنامج في مجال الشخصية والثقافة"، وكان "مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية" قد طلب منه القيام بمسح الدراسات التي أجريت حول هذا المضوع. وقد نادى "توماس" في هذا التقرير بأهمية الموضوع وبضرورة إجراء الأبحاث المتكاملة والمتعددة الجوانب. وذلك لأن أبحاث الثقافة والشخصية كانت في ذلك الوقت تقتصر على جانب واحد سواء كان بيولوجيا أو اجتماعيا أو ثقافيا. وبعد ذلك تتابعت النظريات والأبحاث حول موضوع الثقافة والشخصية، وأصبح من المواد الرئيسية التي تدرس في أقسام الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس بالجامعات في العالم، هذا بالرغم من حداثة نشأة هذا الفرع من المعرفة وحداثة تدريسه في الجامعات. وكان أول من درّس موضوع الثقافة والشخصية بالجامعة هو الأنثروبولوجي الأمريكي "سأبير" في أوائل الثلاثينات.

ومن جهة أخرى فإن اهتمام علماء الاجتماع بتشابه شخصيات أعضاء الجماعة، جعلهم يؤكّدون على أهمية التنظيم في الشخصية. فالشخصية هي تنظيم لجميع اتجاهات

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

الفرد، ويتكوّن هذا التنظيم من خلال تفاعل الفرد مع غيره في الحياة الاجتماعية، فنحن نعتمد على الآخرين كحوافز للسلوك وكمعلمين له.[1]

لقد اكتسب موضوع الثقافة والشخصية أهمية خاصة في نطاق التفكير والبحث الأنثروبولوجي من خلال الاهتمامات التي بدأت مع منتصف العشرينات من هذا القرن، حيث كانت دراسات الشخصية وعلاقاتها بالثقافة محل اهتمام كل من "سيلجمان" Selgman و"مالينوفسكي" Malinowski و"فرانز بواز" و"مارجريت ميد" Mead وسأبير Sapir و"روث بنديكت" Bendict وغيرهم من الأنثروبولوجيين والباحثين في مختلف فروع العلوم الإنسانية.

ويمكن القول أن موضوع الثقافة والشخصية نال أهميته من خلال تركيز الدراسات والبحوث على فهم القضايا الأساسية التي تتصل بمفهوم الطابع القومي أو الشخصية القومية National Character. إذ اهتم الباحثون بدراسة الأنماط الثقافية المختلفة للوصول إلى معرفة آثارها على مكونات الشخصية القومية التي عرفت فيما بعد باصطلاح الشخصية النموذجية أو النمطية Model Personality.

وهناك العديد من المجالات التي يتضح فيها أثر الثقافة في تكوين الشخصية وتحديد سماتها الرئيسية. ولعل دراسة الدكتور محمد عبده مجدوب للسمات المميزة لشخصية المرأة ووضعها في الثقافات المختلفة واحدة منهم.

يقول P. Hammond: "إن الثقافة والشخصية فرع من فروع الأنثروبولوجيا يتخصص أساسا في دراسة الطرق التي تؤثر بها الجوانب المختلفة للثقافة على الشخصية ونموها، كما يهتم أيضا بدراسة الطرق التي تؤثر بها الشخصية في الثقافة وتطوّرها".[2]

ويعد هذا الفرع العلمي من أهم مجالات التخصص التي حاولت الإجابة عن تساؤلات هامة مثل: هل يوجد علاقة بين الأمراض العصبية والذهنية المنتشرة في جماعة ما والنظم الاجتماعية والثقافية المطبقة في تلك الجماعة؟ لماذا تظهر أنواع معينة من الانحرافات

---

[1]– عاطف أمين وصكي، الثقافة والشخصية، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1977، ط2، ص ص 102–105.

[2] – Hammond P. B. an Introduction to cultural and Social Anthropology's Collier Macmillan P. London 1971. P.404.

نقلا عن: عبد الله عبد الغني غانم، الأنثروبولوجيا الثقافية، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2006.

بصورة أكثر تكرارا بين أطفال طبقات اجتماعية معينة؟. هل تؤدي طريقة معينة في تربية أطفال جماعة معينة إلى نمو شكل معين للشخصية في تلك الجماعة؟ إلى أي مدى تحدد ثقافة المجتمع شخصيات حاملي تلك الثقافة؟ لماذا تختلف أنماط العقاب والثواب في الثقافات المختلفة، فبينما يعاقب على سلوك معين في مجتمع ما، يكافأ أو يقابل بالتسامح في مجتمع آخر؟ هل يحدد الانحراف الفردي ثقافيا، أم هناك مقاييس مطلقة للتفرقة بين الفرد السوي وغير السوي؟ ما هو دور الشخصيات البارزة والشخصيات العادية في عمليات التّغير الاجتماعي والثقافي؟

وتعتبر المدرسة التي عرفت باسم مدرسة الثقافة والشخصية التي يمثّلها "روث بنديكت" و"رالف لينتون" و"مارجريت ميد" وأتباعهم من أبرز المدارس وأشهرها في هذا الميدان.

والثقافة والشخصية تعتبران بمثابة ما يسمى في الدراسات الثقافية الحديثة "الثقافة غير المادية"، وذلك على اعتبار أن الثقافة والشخصية تعني مجموعة القيم والمعايير التي توجه سلوك الفرد. فالثقافة والشخصية يمكن اعتبارهما نمطين متداخلين، وذلك من خلال تأثير الثقافة في الشخصية وما ينجم عن هذا التأثير من إيجابية أو سلبية. وينعكس ذلك التأثير في تعريف "تايلور" للثقافة بأنها: "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدمات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع".

ومن التعريف السابق لـ "تايلور"، نستطيع أن نرى مدى تأثير المجتمع في شخصية الفرد من خلال عمليات التّثقيف المختلفة.

ويفضل الكثير من الباحثين الأنثروبولوجيين في الولايات المتحدة الأمريكية دراسة الإنسان وأفعاله ومناشطه من خلال منظور أنثروبولوجي سيكولوجي لأن ذلك يعد أكثر شمولا في طرق البحث الأنثروبولوجي السيكولوجي كما أنه يلقي الضوء على الإنسان من كافة النواحي الاجتماعية والثقافية والفيزيقية.

ويذهب "ليزلي وايت"(Lesli white) في كتابه بعنوان The Concept of Culture "مفهوم الثقافة" أنه لا يوجد إنسان بدون ثقافة ولا توجد ثقافة بدون إنسان، ولما كانت

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

الأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة السلوك الإنساني، كان لزاما على إحدى فروعها أن يركز على دراسة سلوك الإنسان والأشكال والأنماط السلوكية في أي مكان، سواء كان المجتمع بدائيا أو متحضرا، ولقد كان من الطبيعي أن ينتهج العلماء الإثنولوجيين حديثا نهجا يهتم بدراسة دور الفرد في المجتمع وكذلك الشخصية في علاقتها بالتقاليد الثقافية، وذلك عن طريق تحليل العلاقة بين الثقافة والفرد أو على الأصح دراسة أثر الثقافة في تكوين الشخصية والعكس. أي دراسة العلاقات المتبادلة بين كل من الثقافة والشخصية. فعلى الرغم من أن كل فرد هو شخص متفرّد، فإن شخصيته تتحدّد إلى حد كبير بواسطة المجتمع الذي ينشأ فيه. فالشخصية الفردية تتشكّل إلى حد كبير من خلال تمثيل (استيعاب) طرق التفكير والسلوك الشائعة في الجماعة، وهي عملية تسمى "التثقيف" Enculturation، والتثقيف هو العملية التي تنتقل بواسطتها ثقافة المجتمع من جيل إلى الذي يليه والتي بواسطتها يصبح الفرد عضوا في المجتمع.[1]

فالثقافات تؤثر في الفرد وسلوكه وتطبعه بطابع معين، مما يؤدي إلى اختلاف الفرد ليس من ثقافة إلى أخرى فحسب، بل في نطاق الثقافة الواحدة إذا اختلفت الظروف التي يعيش فيها. أي حين تختلف عناصر الثقافة التي تحيط به، فكأن البحث في تنوّع نماذج الشخصية الأساسية يتطلّب ضرورة الرجوع إلى الثقافات التي ترتبط بهذه النّماذج المختلفة.[2]

---

[1] - W. Haviland, Cultural Anthropology, wadsworth U ;S ;A ;p.120.

نقلا عن: عبد الله عبد الغني غانم، الأنثروبولوجيا الثقافية، مرجع سابق.

[2]– أحمد أبوزيد، المفهومات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1972، ص223.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المحور الأول: الثقافة.

المحاضرة الثانية.

2. مفهوم الثقافة:

إن اصطلاح الثقافة "Culture" اصطلاح حديث نسبيا، رغم أن معناه عرف منذ زمن بعيد، ورغم الحديث عن الثقافة بشكل دائم، إلا أنها ما زالت مفهوما خلافيا بين الكثيرين. ثم إن تحديد مفهوم الثقافة لا يقل صعوبة من دراسة وتفسير الظواهر المرتبطة بها؛ لأن هناك العديد من التعاريف التي تنم عن اختلاف العلوم والمدارس ووجهات النظر، فقد استعرض "ألفرد كروبير" و"كلا كهون" ما يزيد عن 160 تعريفا لهذا المفهوم،[1] ما يدل على الأهمية والوزن الذي يحظى به، ومع ذلك "يبقى الغموض ملاصقا له كلما طُرح الموضوع للنّقاش".[2]

في محاولة لضبط قضايا الثقافة، صاغ " لزلي وايت"[3](L .White) عام 1959، مصطلح "علم الثقافة" (Culturologie)، للإشارة إلى الدراسة العلمية للثقافة.

ويفسر "وايت" دعوى نشوء هذا العلم، بتعريف الثقافة على أنها السلوك الإنساني، مما يجعلها ضمن موضوعات علم النفس، أو على الأقل من موضوعات المدرسة السلوكية في هذا العلم، وهو ما يرفضه الأنثروبولوجيون، لتمسّكهم باستقلال علمهم.

وكغيره من الأنثروبولوجيين، عارض "وايت" احتمال دمج الثقافة في موضوعات علم النفس، وفي ذات الوقت عارض تعريف الثقافة بكونها تجريدات غير محسوسة وغير قابلة للملاحظة، لأن مثل هذا التعريف سيبعد الأنثروبولوجيا عن نطاق العلوم التي تعتمد الملاحظة والقياس الكمي، ومن ثمّ فهو يرى أنه لا يمكن للثقافة أن تكون غير الأمور المحسوسة، التي تتمثّل في الأشياء والأفعال والأفكار والعلاقات التي يصنعها الإنسان.

---

[1]– حسين عبد الحميد أحمد رشوان،" الثقافة: دراسة في علم الاجتماع الثقافي"، نشر مؤسسة شباب الجامعة، جامعة، الإسكندرية، 2006، ص9.

[2]– عبد الغاني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006، ص27.

[3]– لزلي وايت (1900–1975)، أنثروبولوجي أمريكي، أثرت نظرياته عن التطور الثقافي تأثيرا لافتا في تطوير الاتجاهات الوظيفية الجديدة في الأنثروبولوجيا الثقافية بالولايات المتحدة الامريكية. وقد ركّز وايت بشكل خاص على أهمية استخدام الطاقة كمقياس للتطور الثقافي الاجتماعي.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
والعلوم الإسلامية
- 1 -

وإذا كان موضوعها هو السلوك الإنساني، كالحال في علم النفس، فإن ما يميز بين العلمين، أن الأنثروبولوجيا تدرس هذا السلوك من خلال الإطار غير الشخصي، فيما يدرسه علم النفس في الإطار الشخصي، من علاقته بشخصية الفرد، بما فيها من عواطف وقيم واتجاهات.

وقد نجح "وايت" في ذلك من خلال صوغه لنظريته الرمزية في تعريف الثقافة، وتحديد طبيعتها. وتتلخص هذه النظرية في أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي لديه ملكة إعطاء معان للأشياء والأفعال التي يلاحظها، وكذلك القدرة على فهم تلك المعاني. ويسمى ذلك القدرة على "إضفاء الرموز"، ويرى أن اللغة أوضح وأدق مثال على تلك العملية.

أما الأشياء التي يضفي عليها الإنسان معان محددة فيطلق عليها "وايت" الأفكار والمعتقدات والاتجاهات والعواطف والأفعال وصور التفاعل والعادات والقوانين والنظم والأعمال والأشكال الفنية واللغات والأدوات الآلات وكافة ما يخترعه الإنسان، بما حدا به أن يعرّف الثقافة باعتبارها الأشياء والأفعال ذات المعاني والتي تدرس في إطار غير شخصي.

ويضرب أمثلة لتوضيح نظريته الرمزية، فيبدأ بتحديد صور الأشياء ذات المعاني، مثل تدخين لفافة تبغ، أو إعطاء صوت انتخابي، أو تجميل آنية من الفخار، أو عدم التّحدث مع زوجة الأب، أو التّلاوة أثناء الصلاة، أو لمس المياه المقدسة، أو صنع رأس السهم. حيث يمكن دراسة هذه الأفعال والأشياء من جانبين، أولهما: تفسيرها من زاوية الأفراد الذين قاموا بها، مثال ذلك: ما هو شعور الفرد الذي لا يتحدّث إلى زوجة أبيه؟ هل يكرهها أم يحترمها؟ هل يقوم بذلك لأنّه مضطر؟ هل ينفعل عند أدائه هذا الفعل، أم يتم ذلك بصورة آلية؟ وكذلك الحال فيما يتعلق بالأشياء التي تتجسد فيها الأفعال الإنسانية، أو ترتبط بعلاقة ما.

أما الجانب الثاني، فيتمثّل في دراسة تلك الأشياء والأفعال من زاوية تحديد علاقة كل منها بالآخر، على أساس أنها تمثّل حقائق منفصلة عن شخصيات فاعليها. فمثلا يمكن دراسة فعل عدم التّحدث مع زوجة الأب عن طريق تحديد علاقته بأفعال أخرى مثل عادات الزواج. وهل هي وحدانية أم تعددية؟ ومثل مكان الإقامة بعد الزواج، أو تقسيم العمل على أساس النّوع أو النّشاط الاقتصادي أو أسلوب بناء المساكن ومستوى التطور الحضري وغيره،

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

وهنا تصبح مثل هذه الدراسات خاصة بالأنثروبولوجيا، وتصير تلك الأفعال والأشياء عناصر ثقافية.

ويقصد "وايت" بهذه العناصر، تلك الأشياء والأفعال ذات المعاني التي يلاحظها الباحث حسيا، وبالتالي يكون موقعها هو الواقع الخارجي وليس عقل الباحث. ولابد لتلك العناصر أن تتصل بالمكان والزمان، أي لا يمكن دراستها إذا لم يرتبط وجودها بمكان وزمان محددين. ويضيف "وايت" بأن الأفكار والعواطف الموجودة في عقول ونفوس الناس، هي أيضا من عناصر الثقافة، شرط أن يدرسها الباحث على أنها حقائق واقعية، بغرض تحديد العلاقات التي تربط بينها.

وعليه، فبالرغم من وجود الأفكار والعواطف في العقول والنفوس، إلا أنها إذا درست عن طريق الملاحظة الخارجية الموضوعية وفي الإطار غير الشخصي، تصبح من عناصر الثقافة. ومن أمثلة تلك العناصر: القيم والمعتقدات والاتجاهات النفسية ورموز اللغة والفن.

ومع الجهد الذي قدّمه "وايت" في محاولته صيغ إطار نظري لما أطلق عليه "علم الثقافة"، إلا أنها بدت تبسيطية، مما أدى إلى عدم تمتعه بالانتشار.

1.2. التحديد اللغوي العربي لمفهوم الثقافة:

نشير بداية، أن كلمة "ثقافة" وفق التحديد اللغوي العربي لا تحيل على أي معنى من المعاني التي اتخذتها كلمة (culture) في المجتمع الغربي[1] -كما سنبين فيما بعد- فقد جاء في معجم "لسان العرب" لابن منظور ما يلي: ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفا وثِقافا وثُقُوفة: حَذَقَه، ورجل ثَقْفٌ: حاذِقٌ فَهِم. ورجل ثَقْفٌ لَقْفٌ إذا كان ضابِطا لما يَحْوِيه قائما به، ويقال ثَقِفَ الشيءَ وهو سُرعةُ التعلم. وثَقِفْتُ الشيءَ حَذَقْتُه، وثَقِفْتُه إذا ظَفِرْتَ به، قال الله تعالى: ﴿ فإمَّا تَثْقَفَنَّهم في الحرب﴾.[2] وفي هذا الصدد يقول "مالك بن نبي" في كتابه" مشكلات حضارية: "مشكلة الثقافة": "ليس لنا أن نعجب إن لم نجد كلمة ثقافة (culture) في وثائق العصر، أو

---

[1]-عبد الغاني عماد،"سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم ولإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، مرجع سابق، ص29.

[2]- ابن منظور، "لسان العرب"، تحقيق :عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، دار المعارف، كرنيش النيل، القاهرة، 1119، ص492.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
- 1 -

في مؤلفات "ابن خلدون"، لأن فكرة الثقافة حديثة جاءتنا من أوروبا،[1] التي صدّرت لنا هذا المفهوم بحمولته ودلالته المتداولة في المجالات العلمية والأكاديمية كما سنوضح.

ففي لغتنا العربية يحمل مفهوم الثقافة معنى أقرب إلى (تقويم ما أعوج)، والتقويم يحدث إذا كان هناك معيار وقيم عليا يراد الوصول إليها. وثقف الأرض أي سوّاها وجعلها صالحة للزراعة.

2.2. التحديد الأنثروبولوجي والسوسيولوجي لمفهوم الثقافة:

لم يتخذ لفظ ثقافة معنى محددا إلا على أيدي الأنثروبولوجيين، والذين يرجع إليهم الفضل في أن موضوع الثقافة أصبح ميدانا علميا مستقلا.

وقد استبعد هؤلاء الأنتروبولوجيون كثيرا من معاني الثقافة في اللغات الأوروبية بوجه خاص، كمعنى التّثقيف والتّهذيب والتربية والزراعة.. إلخ، وأصبحوا يستعملونه كاصطلاح للدلالة على كل ما صنعه أي شعب من الشعوب أوجده لنفسه من مصنوعات يدوية ونظم اجتماعية سائدة وأدوات وأسلوب للتعبير، وباختصار كل ما صنعه الإنسان أينما وجد.

فالثقافة من وجهة النظر الأنثروبولوجية هي مجمل التراث الاجتماعي، أو هي أسلوب حياة مجتمع. وعلى ذلك فإن لكل شعب في الأرض ثقافة، بمعنى أن له أنماطا معينة من السلوك والتنظيم الداخلي لحياته والتفكير والمعلومات التي اصطلحت عليها الجماعة في حياتها، والتي تناقلتها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي.

احتلت المسألة الثقافية مكانة متميزة داخل العلوم الإنسانية، وخاصة منها الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا؛ إلى درجة أن "ستيوارت تشيز" Stuart Chase اعتبرها بمثابة حجر الأساس للعلوم الاجتماعية، إنها دراسة وحدة الإنسان داخل التّنوع والتّعدد، فالإنسان ليس مجرد كائن اجتماعي فقط بل هو كائن ثقافي بالأساس،[2] يصنع الثقافة ويحدّد سلوكه ونمط عيشه وفق محدداتها.

---

[1]– مالك بن نبي، "مشكلات حضارية: مشكلة الثقافة"، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، ط4، بيروت، 2000، ص24.

[2]– إبراهيم أقديم ومصطفى أعفير، "اللغة والثقافة: رهانات المغرب الحديث "، أعمال الندوة التكريمية للأستاذ العميد محمد الشاد، يوم 30–31مارس 01 أبريل2006 ، منشورات ك .أ .إ ظهر المهراز فاس، سلسلة الندوات التكريمية، ص86.

وتعرّض مفهوم الثقافة لتحديدات مختلفة على مر العصور، ففي بداية القرن (18م) كانت الكلمة تستخدم للدلالة على فعل فلاحة الأرض،[1] وهذا ما نجده في المعجم الفرنسي Le Petit Robert 2014، الذي يحدد مفهوم الثقافة (la culture) بعد أن أشار للتحديد الإيتيمولوجي لأصل الكلمة اللاتيني (Cultura)، للدلالة على "العمل على زراعة الأرض، حيث تتضمن جميع العمليات الخاصة للحصول على تربة صالحة لنمو النباتات المفيدة للإنسان والحيوانات الأليفة".[2] وإلى حدود النصف الثاني من القرن (18م) بعد انتقال الكلمة إلى ألمانيا، اكتسب مفهوم الثقافة kultur مضمونا جماعيا يدل على التقدم الفكري الذي تحققه المجموعات الإنسانية، أما الجانب المادي في حياة المجتمعات فقد أفرد له الفكر الألماني كلمة "الحضارة"،[3] مع أن هذا التمييز لم يلق إقبالا لدى بعض الباحثين حيث نجد سجالا علميا في تحديد دلالة المفهومين والفرق بينهما.

لكن فيما يخص ابتداع مفهوم الثقافة بمقاييس علمية دقيقة – حسب "نيس كوش"– فنحن ندين لعالم الأنثروبولوجيا البريطاني "إدوارد تايلور" Edward Burnett Taylor الذي نحت أول تعريف علمي،[4] وهو الذي يعتبر من طرف الكثير من الباحثين مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية الحديثة، حيث يقول في كتابه "الثقافة البدائية" (1871): "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات، وأي قدرات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع".[5]

وهذا المنظور الذي يرى في الثقافة ككل يتضمّن مجموعة من الأجزاء والعناصر نجده أيضا في التحديد الذي وضعه الأنثروبولوجي الأمريكي "رالف لينتون"، حيث يحدّد الثقافة: "ككل تتداخل أجزاءه تداخلا وثيقا، ولكن من الممكن أن نتعرّف فيه على شكل بنائي معين،

1– دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، مراجعة: الطاهر لبيب، نشر المنظمة العربية .للترجمة، ط1 ، بيروت 2007 ، ص17.

2 –Le Petit Robert de la langue Française, 2014 , http://www.lepetitrobert.fr/.

3– عبد الغاني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مرجع سابق، ص28.

4– دنيس كوش،" مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص31.

5– شارلوت سيمور شميث، موسوعة علم الإنسان: "المفاهيم والمصطلحات والأنثروبولوجية"، ترجمة: مجموعة من الأساتذة في علم الاجتماع، بإشراف محمد الجوهري، القاهرة 2008، ص166.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -

أي أن نتعرّف فيه على عناصر مختلفة هي التي تكوّن الكل".[1]

ونفس الطرح نجده مع "روبيرت بيرستد" الذي قدّم في أوائل الستينيات تعريفا للثقافة، يعتبر من أبسط التعريفات وأحدثها فيقول: "الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألّف من كل ما نفكّر فيه أو نقوم بعمله، أو نتملّكه كأعضاء في المجتمع". [2]

وفي جانب آخر ضمن الأعمال الأنثروبولوجية البارزة حول القضايا الثقافية، يحدّد "مالينوفسكي" مفهوم الثقافة بكونه: "يشمل المهارات الموروثة والأشياء والأساليب أو العمليات التقنية، والأفكار والعادات والقيم".[3]

أما "أنطوني غيدنز" فيعرف الثقافة بشكل عام وشامل بكونها تعني "أسلوب الحياة الذي ينتجه أعضاء مجتمع ما أو جماعات ما داخل المجتمع، وهي تشمل على هذا الأساس أسلوب ارتداء الملابس وتقاليد الزواج وأنماط الحياة العائلية وأشكال العمل والاحتفالات الدينية، بالإضافة إلى وسائل الترفيه والترويح عن النفس"،[4] كما أنها تتألف من: "جوانب مضمرة غير عينية مثل المعتقدات والآراء والقيم التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة".[5] وهذا التركيز على الجوانب الاجتماعية لمفهوم الثقافة وفق المنظور السوسيولوجي الذي وضعه "غيدنز"، نلمسه أيضا وبشكل واضح في التعريف الذي قدمه "محمد الجوهري"، حيث يقول أن الثقافة هي: "مضامين الوعي والأحاسيس والتصورات المشتركة بين أعضاء جماعة اجتماعية –لما هو قائم ولما يجب أن يكون– والتي تتوارث اجتماعيا (أي بالتلقين الاجتماعي وليس بالوراثة البيولوجية) من جيل إلى جيل ثاني، بما في ذلك الصور والتجسيدات المادية، التي تتضح فيها تلك المضامين والمشاعر والتصورات من صور الفعل، والمصنوعات التي يبدعها الإنسان. فالثقافة هي الأرضية التي يتغذى عليها المجتمع، والتي

1– مالك بن نبي، مشكلات حضارية: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص30

2– عبد الغاني عماد، "سوسيولوجيا الثقافة"، مرجع سابق، ص31.

3– حسين عبد الحميد أحمد رشوان،" الثقافة :دراسة في علم الاجتماع الثقافي"، مرجع سابق، ص11.

4– أنطوني غيدنز، علم الاجتماع"، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العبية للترجمة، مكز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت، 2005، ص79.

5– أنطوني غيدنز،" علم الاجتماع، المرجع نفسه، ص82.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
- 1 -
تلمسان

تنمو عليها العلاقات الاجتماعية، وهي في الوقت نفسه العصا التي تشكل هذا المجتمع وتصوغ قيمه ومعاييره"،[1] ونمط عيش الأفراد بداخله.

من خلال هذه المقاربة المفاهيمية لمصطلح الثقافة داخل حقلي الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، يمكن أن نتوقف عند أهم سمات هذا المفهوم؛ فنجده قبل كل شيء يرتبط بالمجتمع الإنساني من خلال الإنتاجات والإبداعات التي تصدر عن أفراده، سواء كانت ظاهرة ملحوظة كالتقاليد والطقوس والعادات والاحتفالات وكل أنماط السلوك، أو رمزية مضمرة كالتمثلات والمعتقدات والأفكار والقيم والتصورات والأساطير، وكل ما يدور في المخيال الشعبي.

كما أن هذا المفهوم يتصف بطابع الشمولية والكلية، فهو يتضمن مجموعة من العناصر والأجزاء تكوّن ذلك الكل المركب بتعبير تايلور ولينتون وبيرستد -كما أشرنا سابقا- هذا "الكل" الذي يكوّن هوية أي مجتمع أو جماعة إنسانية ما، ويمكّن أفراده من تحقيق التضامن والتوافق الاجتماعيين، كما يمكنهم من مواجهة الظواهر السلوكية الدخيلة، بالإضافة إلى تمكينهم من التصوّر العام لطبيعة تقدمهم وتنمية المجتمع الذي ينتمون إليه.

3.2. التعريف النفسي- السيكولوجي للثقافة:

أما النمط الثالث من التعريفات التي قدمها كل من "كروبير" و"كلا كهون" للثقافة، فنفسيPsychologique يركز على الغرض من الثقافة، وهو إشباع حاجات الأفراد والتغلب على مشاكلهم، بقصد تكيّفهم مع البيئة الخارجية ومع غيرهم من أعضاء المجتمع، اعتبارا من أنها محصلة التفاعل القائم بين الفرد والمجتمع والبيئة، وهي التي تحدّد لهم الطرق والقواعد التي تساعدهم على التوافق مع الوسط الطبيعي-الاجتماعي، وتهبهم القدرة على التّصرف في المواقف، وتنظيمها بواسطة متغيرات الدوافع والإدراك والطباع المكتسبة، كلما تهيئ لهم أسباب التفكير والشعور، وتطوّر لهم حاجات جديدة، وتنمي بينهم الضمير الجمعي والشعور بالانتماء، ويمثل "فورد" C. S. Ford هذا النمط من التعريفات.

كذلك يعد "برونسلاف مالينوفسكي"[1] B.Malinowski أشهر من أخذوا بهذا التعريف،

---

[1]- محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع، كلية الآداب، ط2، القاهرة، 2007، ص83.

حين رأى أن الثقافة تشمل كافة الجوانب المادية واللامادية من مصنوعات وسلع وتقنيات وأفكار وعادات وقيم، تحقق وظائف حيوية ليس فقط بالنسبة للمجتمع ككل، ولكن لكل عضو فيه، سواء من الناحية العقلية أو البيولوجية، عن طريق تغطية حاجاته الأساسية.

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية -1-

وهو يقسّم هذه الحاجات إلى ثلاثة أنماط، تعد أساس تصنيفه لحقول الثقافة: حاجات أولية أو إلزامية Impérative تتمثل في الغذاء والنوم والاستراحة، وحاجات مساوقة Accompanist تتحدد في كل ما يحتاج بقاء البشر وتطورهم كتنظيم التعايش والعلاقات، ويلبي شروط هذه الحاجات الجهاز الثقافي المكوّن من مؤسسات التموين والتربية والمراقبة الاجتماعية والسلطة السياسية، أما الحاجات الثالثة فهي تكاملية Integrating، تمثلها العناصر الرمزية للثقافة، والتي لا تكون متميزة بشكل واضح لدى "مالينوفسكي" عن الجهاز الملبي للحاجات الثانية، واضح هذه الحاجات التكاملية هي اللغة والميراث الشفاهي والأدبي والمبادئ الأخلاقية والمعتقدات، وتشكّل ما أطلق عليها "مملكة الرمز".

وتعرف "كوثر كوجك" الثقافة بأنها مجموع ما يحصل عليه الفرد من مجتمعه، وهي كل مركب يشمل المعرفة والفنون والأخلاق والمعتقدات والقانون والعرف والعادات وسائر الأدوات المادية والفكرية التي يستطيع بها الفرد إشباع حاجاته الحياتية والاجتماعية وتكييف نفسه لبيئته.

فالثقافة هي أسلوب الحياة في المجتمع، وهي التي جعلت المجتمع البشري يتميَز عن التجمعات الحيوانية. فالعادات والتقاليد والأفكار التي يشارك فيها أفراد المجتمع، والتجارب التي يمر بها الإنسان فتستقر في أعماقه، كلها أمور يتّسم بها الجنس البشري واستخدمها المجتمع الإنساني عبر التاريخ وتتناقلها الأجيال كتراث اجتماعي. ولكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتميز بها ويعيش وفقها. كما أن لكل ثقافة مميزاتها وخصائصها التي تحدد شخصيتها.

---

[1]- برونسلاف مالينوفسكي (1884-1942) أنثروبولوجي انجليزي، بولندي المولد، يعد واحدا من مؤسسي المدرسة الوظيفية. وقد أكد في اتجاهه الوظيفي على التداخل بين كل أجزاء وعناصر الثقافة أو النسق الاجتماعي، كما أنكر أهمية مفهوم الرواسب الثقافية، ودافع عن التفسيرات الوظيفية دون التفسيرات التاريخية أو التطوير للظواهر الاجتماعية الثقافية، وكان مهتما بالأبعاد السيكولوجية للثقافة.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
والعلوم الإجتماعية
تلمسان

وسوف يتضح لنا معنى الثقافة لو أننا قارنا بين البيئة الطبيعية للإنسان والمتمثلة في الطبيعة التي حوله والتي يتعامل معها الإنسان كحيوان، والبيئة الثقافية التي يخلقها الإنسان بنفسه عندما يعرف كيف يتكيّف ويحقّق التوازن بين نفسه والعالم الطبيعي.

الخلاصة أن من تفاعل الأفراد والجماعات مع الطبيعة تتكوّن الثقافة. فالثقافة هي إنتاج حضاري حيث أن التّعلم والانتقال إلى الأجيال لا يتم بطريقة آلية، ولكن يتم عن طريق أنظمة اجتماعية تقوم بهذه المهمة مثل الأسرة، المدرسة، النوادي. وهناك يتعلّم الأفراد طرق السلوك والتفكير شعوريا أو لا شعوريا.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

3. خصائص الثقافة:

تعد الحياة الاجتماعية في أي مجتمع، نسيجا متكاملا من الأفكار والنظم والسلوكيات التي لا يجوز الفصل فيما بينها، باعتبارها تشكِّل التركيبة الثقافية في المجتمع، إلى درجة تحدِّد مستوى تطوّره الحضاري.

وإذا كان التأثير البيولوجي للإنسان في الثقافة معدوما على المستوى الاجتماعي، باستثناء بعض الحالات الفردية الاستثنائية (الشاذة)، فإن تأثير العامل الثقافي على الوجود البيولوجي، هو تأثير فاعل ومحسوس ليس على مستوى الفرد فحسب، بل على مستوى المجتمع بوجه عام. فكما يتم اصطفاء النوع، يتم اصطفاء الثقافة على أساس تكيفها مع البيئة، وبمقدار ما تساعد الثقافة أعضاءها في الحصول على ما يحتاجونه، وفي تجنب ما هو خطر، فإنها تساعدهم على البقاء.[1]

وهذا يؤكد أن النموذج العام لأي ثقافة، يأتي منسجما مع الإطار الاجتماعي الذي أنتجها، ويرسم بالتالي السمات والمظاهر الاجتماعية لدى الأفراد الذين يتشرّبون هذه الثقافة،

ويعملون ما بوسعهم للحفاظ على هذا النموذج الثقافي واستمراريته وتطويره.

واستنادا إلى هذه المعطيات، فإن ثمّة خصائصِ تتّسم بها الثقافة، بحسب مفهومها وطبيعتها، ومن أبرز خصائص هذه الثقافة أنها:[2]

1.3. إنسانية:

فالإنسان هو الحيوان الوحيد المزوّد بجهازٍ عصبي خاص، وبقدرات عقلية فريدة تتيح له ابتكار أفكار جديدة، وأعمال جديدة. ومثال ذلك انتقاله من المناطق الدافئة إلى المناطق

---

[1]– ب.ف. سكينر: تكنولوجيا السلوك الإنساني، ترجمة: عبد القادر يوسف، عالم المعرفة 32، الكويت، 1980، ص130.

[2]– للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: أحمد أبو زيد: محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية،41–46، ومرفت العشماوي، عثمان العشماوي: الأنثروبولوجيا الثقافية – المجال والموضوع، ضمن الأنثروبولوجيا – علم الإنسان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009، ص 149–159.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

الاستوائية، وتكيّفه معها باختراع أعمال جديدة، تخفّف عنه شدّة الحرارة والرطوبة، ثم انتقاله من طور جمع القوت إلى طور الصيد وأخيرا إلى طور الرعي والزراعة، دون ظهور تغيّرات عضوية تذكر، وإنما الذي تغيّر هو ثقافته، أي مجموع أفكاره وأعماله وسلوكياته.

2.3. مكتسبة:

يكتسب الإنسان الثقافة من مجتمعه منذ ولادته وعبر مسيرة حياته، وذلك من خلال الخبرات الشخصية؛ وما دام كل مجتمع إنساني يتميّز بثقافة معينة محدّدة الزمان والمكان، فإن الإنسان يكتسب ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه منذ الصغر، ولا تؤثّر العوامل الفيزيولوجية في عملية الاكتساب، أي أن عملية التنشئة الاجتماعية الثقافية هي العملية التي تقوم بنقل ثقافة المجتمع إلى الطِفل، ومهما كانت السلالة التي ينتمي إليها الفرد، فإنه يستطيع أن يلتقط ثقافة أي مجتمع بشري، إذا ما عاش فيه فترة زمنية كافية.

3.3. اجتماعية:

بما أن الثقافة هي نتاج اجتماعي أبدعته جماعة معينة، فإن دراسة الثقافة لا تتم إلا من خلال الجماعة أو المجتمع البشري، وذلك لأن هذه الثقافة تمثل عادات المجتمع وقيمه، وليست عادات الأفراد كأفراد، وإن كانت النظم الثقافية تختلف في مدى شموليتها الاجتماعية، فهناك نظم تطبّق على أفراد المجتمع جميعا، وفي المقابل هناك نظم كثيرة ولا سيّما في الثقافات المتمدّنة، لا تطبق إلا على جماعة معينة داخل المجتمع الواحد، ولا تطبق على الجماعات الأخرى، وهذا ما يعرف بالثقافات الفرعية.[1]

إن دراسة الفرد كشخصية متميّزة هو موضوع عالم النفس، وليس موضوع الأنثروبولوجي. وتختلف النظم الثقافية في مدى شموليتها، ويمكن تقسيمها على أساس مدى شموليتها إلى ثلاثة أنواع: عامة، خاصة وبدائل.

4.3. تطوّرية_ تكاملية:

---

[1]– عاطف وصفي، الثقافة والشخصية، دار المعارف، مصر، 1977، ص ص81– 84.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
والعلوم الإجتماعية
تلمسان

على الرغِم من أن لكل جماعة بشرية معينة ثقافة خاصة بها، إلا أن هذه الثقافة ليست جامدة، بل هي متطوّرة مع تطور المجتمع من حال إلى حال أفضل، ولا يتم التطوّر في جوهر الثقافة ومحتواها فحسب، وإنما أيضا في الممارسة والطريقة العملية لسلوكيات الإنسان الذي يعيش في المجتمع المتطور.

وهذا التطور لا يعنى أن كل مرحلة ثقافية هي منعزلة عن الأخرى، بل ثمة تكامل ثقافي في ثقافة المجتمع الواحد، وذلك لأن الثقافة بتكاملها، تشبعِ حاجات الإنسان المادية والمعنوية، وهي تجمع بين المسائل المتصلة بالروح والفكر، وبين المسائل المتصلة بحاجات الجسد، أي أنها تحقق التكامل بين الحاجات البيولوجية والنفسية والاجتماعية والفكرية والبيئية.

5.3. استمرارية_ انتقالية:

بما أن الثقافة تنبع من وجود الجماعة، ورضاهم عنها، وتمسّكهم بها، فهي بذلك ليست ملكا لفرد معين، ولا تنحصر في مرحلة محددة، لذا لا تموت الثقافة بموتِ الفرد، لأنها ملك جماعي، وتراث يرثه أفراد المجتمع جميعا، كما أنه لا يمكن القضاء على ثقافة ما، إلا بالقضاء على أفراد المجتمع الذي يتبعها، أو بتذويب تلك الجماعة التي تمارس هذه الثقافة بجماعة أكبر وأقوى تفرض ثقّافة جديدة بالقوة.[1]

وإذا كانت الثقافة تشكل إرثا اجتماعيا فإنها إذن قابلة للانتقال من جيل الكبار إلى جيل الصغار بواسطة عملية التثقيف أو التنشئة الثقافية–الاجتماعية، أي (العملية التربوية) التي تعني في بعض جوانبها نقل ثقافة الراشدين إلى الذين لم يرشدوا بعد، كما يمكن أن يتم هذا الانتقال أو الانتشار إلى جماعات إنسانية أخرى من خلال وسائل الاتصال المختلفة.

فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع، والمجتمع من جهته لا يقوم ويبقى إلا بالثقافة، لأن الثقافة طريق متميّز لحياة الجماعة، ونمط متكامل لحياة أفرادها، وهي التي تمدّ هذه الجماعة بالأدوات اللازمة لاطراد الحياة فيها، وإن كانت ثمة آثارا في ذلك لبعض العوامل البيولوجية والجغرافية.

---

[1]– ابراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثقافية – علم الإنسان الثقافي، عمان، الأردن، 1985، ص ص103–104.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

6.3. معقدة:

الثقافة كلّ معقّد إلى أبعد حدود التعقيد، نظرا لاشتمالها على عدد كبيرٍ جدا من السمات والملامح والعناصر التي حاولت بعض التعريفات أن تذكر جانبا منها كما هو الحال في تعريف "تايلور" مثلا، ويرجع ذلك التعقيد إلى حد كبير إلى تراكم التراث الاجتماعي خلال عصور طويلة من الزمن، وكذلك إلى استعارة كثيرٍ من السمات الثقافية من خارج المجتمع نفسه، وهذا التعقيد معناه في الحقيقة أن الفرد لن يستطيع أن يكتسب كل عناصر الثقافة السائدة في المجتمع الذي ينتمي إليه، كما يعني أيضا أن عالم الأنثروبولوجيا أو الاجتماع لن يستطيع مهما جاهد أن يسجل كل مظاهر وسمات أي ثقافة من الثقافات التي يدرسها مهما بلغت من البساطة.[1]

7.3. إشباعية:

الثقافة تشبع دائماً بالضرورة الحاجات البيولوجية، وكذلك الحاجات الثانوية المشتقة منها، ولذلك يقال إن للثقافة خاصية إشباعية، والجوع والعطش مثالان على الحاجات البيولوجية، أمّا الحاجات الثانوية المشتقة فيمكن أن نطلق عليها الحاجات الاجتماعية الثقافية، لأنها تظهر وتنشأ من خلال التفاعل الجمعي.[2]

وذلك يعتبر نتيجة مستخلصة من المبدأ السيكولوجي الحديث بشأن المنبه والاستجابة، فالثقافة تتكوّن من عادات، ولقد أثبت علم النفس أن العادات لا تدوم ولا تترسّخ إلا بقدر ما تجد اشباعا،[3] وتأسيسا على ما تقدّم فإنّ مكونات الثقافة تبقى فقط إذا ما كانت تمدّ أفراد المجتمع بحدّ أدنى من الإشباع.

8.3. انتقائية:

1- أحمد أبو زيد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص47.

2- سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية: بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1991، ص 29.

3- سامية محمد جابر، علم الإنسان: مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1991، ص 29.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
والعلوم الإسلامية
- 1 -
تلمسان

إن انتقال عناصر الثقافة هو انتقال انتقائي، بمعنى أن الجيل الذي يتلقى عناصر الثقافة ينتقي منها البعض ويستبعد البعض الآخر، تبعًا لظروفه وحاجاته؛ فالجيل الحالي مثلاً قد لا يقبل كل العادات القديمة التي شاعت لدى الأجيال السابقة، فيقف منها موقفا انتقائياً، لينتقي منها ما يناسب ظروفه وأحواله، ولا شك أن قبولنا الواعي لعناصِر الثقافة يجعل لنا نوعا من القدرة على تكييفها تبعا لظروفنا، والوقوف منها موقف الانتقاء لا موقف التلقي السّلبي.[1]

9.3. متنوعة- نسبية:

تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة، فالنظم التي قد يتبعها مجتمع ما، معتقدًا أنها فضيلة، قد تعتبر جريمةً في مجتمعٍ آخر، يعاقب عليها القانون (النسبية)، ولذلك نرى أن الثقافة تتّصف بأنها ظاهرة إنسانية توجد في كل المجتمعات، ولا يعني ذلك أنها متطابقة أو متشابهة في كل تلك المجتمعات، فالثقافة تختلف من مجتمع إلى آخر، وهي بالتالي تكون نسبية، أولها خصوصيتها المميزة، بمعنى أن ما ينطبق على ثقافة ليس من الضروري أن ينطبق على ثقافة أخرى.[2]

ومن ثمَّ لا يمكن فهم وتفسِير وتقييم الثقافات أو الظواهِر الثقافية على وجه صحيح إلا إذا نظرنا إلى الظواهر التي نقوم بدراستها بالنسبة إلى البيئة الموجودة بها، وإلى الدور الذي تؤدِيه في نسق اجتماعي وثقافي أكبر، وإنه بالتالي ليست هناك قيم شاملة مطلقة.[3]

وقد يصل الاختلاف بين الثقافات، بل حتى في الثقافة الواحدة إلى حدّ التناقض. فمثلا: يستطيع العربي المسلم المقيم في دولة عربية أن يتزوّج امرأتين في ظروف معيّنة، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فيعدّ ذلك جريمة، تعرف باسم جريمة تعدّد الزوجات، ويعاقب عليها القانون الأمريكي حتى وإن كان مرتكبها مسلما.

---

[1]- المرجع السابق، ص ص81-82.

[2]- السيد حافظ الأسود، الثقافة الإنسانية: طبيعتها خصائصها وأنماطها ضمن علم الإنسان، مدخل عام، دار القلم، دبي، الامارات العربية، 1995، ص 140.

[3]- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977، ص352.

أو مثلا: في قبائل "موزيا" بالهند تباح العلاقات الجنسية قبل الزواج، بحيث تختار الفتاة صديقها أثناء طقوس معيّنة منها الرقص، وتبقى معه ثلاث ليال، ثمّ تختار آخر وهكذا. بينما تعدّ هذه الحرية الجنسية جريمة في معظم المجتمعات المتمدينة.

ونصل إلى النتيجة ذاتها إذا حلّلنا التغيّر الثقافي الذي يحدث في المجتمع الواحد على مرّ السنين، فمثلا: كان ملوك قدماء المصريين يتزوّجون أخواتهم، بينما يعدّ هذا النظام جريمة نكراء في المجتمع المصري الحديث.

قد يتساءل القارئ لماذا يوجد هذا التناقض والاختلاف في الثقافات، بينما صانع تلك الثقافات هو الإنسان المتشابه من الناحية البيولوجية؟

حاول بعض العلماء تفسير ذلك على أساس السلالة التي ينتمي إليها المجتمع الواحد. ففي رأيهم أنّ بعض السلالات أرقى من الأخرى وتمتلك قدرات ومهارات ومعدّل ذكاء مرتفع. ولكن الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة أثبتت خطأ تلك النظرية وتعصّبها للسلالة البيضاء. وتبيّن الإحصائيات أنّ زنوج افريقيا والهنود الحمر يحصلون على أرقى الشهادات، ويتفوّقون في ادق المهن الفنية إذا أُتيحت لهم فرص متكافئة.

10.3. رمزية الثقافة:

الرمزية Symbolisme هي إعطاء معان لأشياء بحيث يصبح في إمكان هذا الجزء أن يعرب عن الكل ويشير إليه، ويتضمن هذا الاصطلاح أشكالا عديدة من أنماط السلوك التي يقصد بها توجيه اهتمام خاص لشخص أو شيء أو فكرة أو واقعة ترتبط أو لا ترتبط على الإطلاق بالرمز نفسه.[1]

وينظر علم الإنسان إلى الثقافة على أنها نسق من الرموز التي يستخدمها الأفراد في علاقتهم، كل منهم بالآخر، وفي تفاعلهم مع البيئة الطبيعية والاجتماعية، والرموز تشير إلى موضوعات أو أفعال أو أشياء أو أحداث من حيث أن لها معاني مميّزة بالرغم من عدم

[1]- السيد حافظ الأسود، مرجع سابق، ص418.

جامعة أبو بكر بلقايد كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية - 1 - تلمسان

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الانسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

وجود علاقة ضرورية بين الرموز وتلك الأشياء، بمعنى أن علاقة تعسفية تقوم في المحل الأول على وجود اتفاق عام داخل المجتمع بأن رمزا معينا يشير إلى معنى معين.[1]

ويستخدم البشر الرمز أي يضفون معاني مختلفة على ظواهر مادية، فنجد أن اللون قد يدل على الخطر أو الحزن مثلا وهكذا.

إن القدرة على استخدام الرموز وتفسيرها، هي أحد العوامل الهامة التي تميّز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، فالإنسان قادر على استخدام الرمز وإضفاء معانٍ كثير على شيء واحد، وهذه القدرة تكون غائبة تماما عند الحيوان، الذي لا يدرك اللغة واستخدامها، وبالتالي لا يعرف الرمز بالرغم من معرفته للإشارة التي تختلف عن الرمز اختلافا كبيرا، فالحيوان يدرك الإشارة، عن طريق الارتباط الشرطي- الآلي، بين إشارة معينة وبين شيء آخر مرتبط بها ارتباطا مباشرًا، مثلما هو الحال عندما يتم اصدار صوت معينّ أو القيام بفعل معين يكون بمثابة الإشارة.[2]

والقدرة على استخدام الرمز، تمكّن الإنسان من نقل ما تعلّمه على نحوٍ أكثر كفاءة، كما أنها تيسر للإنسان عبور الفجوة القائمة بين الخبرات المادية المنفصلة، مما يضفي طابع الاستمرار والاتصال على اكتساب الخبرات البشرية، بالإضافة أن البشر يتعلمون من خلال الخبرة التي تتراكم في صورة رموز، تكون لغوية عادة، فما أن ينجح الإنسان في حلّ مشكلة معينة، حتى يصبح بوسعه تلخيص هذه الخبرة في كلمات، مستبعدًا كلّ محاولاته الفاشلة، لكي تكون هذه الخبرة في متناوَل الآخرين، وبهذه الطريقة يمكن أن تصبح جميع خبرات أي فرد في متناول بقية أفراد المجتمع.[3]

كما أن اللغة وغيرها من أساليب الترميز، تمكّن البشر من تلخيص أساليب السلوك التي تعلّموها، ونقلها لكل جيل جديد؛ كذلك يؤدي خلق الرموز واستخدامها إلى تمكين الإنسان من جعل خبراته تتدفق باستمرار، ذلك أن الخبرات المادية ليست مستمرة سواء عند

---

[1]- المرجع نفسه، ص147.

[2]- المرجع نفسه، ص147.

[3]- محمد الجوهري، المرجع السابق، ص ص92-93.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
- 1 -
تلمسان

الإنسان أو الحيوان، فلكل خبرة بداية ونهاية، وتفصل بين كل خبرة فترة زمنية قد تطول أو تقصر.[1]

وتعتبر الرموز، وسيلة هامة في عملية التعليم وتحصيل المعارف، حيث إن الرموز بقدرتها التشخيصية الحسية أو طبيعتها المادية، تجعل التصورات المجردة أكثر يسرًا على الفهم، فتصور العدالة وهو تصوّر مجرد، يمكن فهمه بشكل أيسر عندما يرمز إليه برمز الميزان، وهو رمز يشير إلى مفهوم العدل.[2]

وعادة تكوين الرمز واستخدامه، تسمح للإنسان بالقدرة على التفكير في المشكلة، حتى ولو لم تكن ماثلة مادياً أمامه، ذلك لأن البشر يناقشِون مشكلاتهم مع الآخرين ومع أنفسهم، من خلال التعبير عن المشكلة في كلمات، واختيار الحلول أثناء المحادثة أو بطريق التخيل، وهكذا يمكن القول بأن الإنسان يستطيع تحقيق الخبرة والتعلم بتحويل هذه الخبرات (المادية) إلى رموزٍ، تتخذ صورة الكلمات المدونة، أو بوسائل أخرى من نفس النوع.[3]

فالثقافة إذا تتكون من الأساليب المتعلمة التي تراكمت على يد أفراد كثيرين عبر أجيال عديدة، ولا يتيسّر تراكم السلوك المتعلم إلا من خلال وضع رموزٍ معينة واستخدامها، فبدون هذه الوسيلة يصبح التعليم جامدا، وغير قابل للتقدم، والإنسان هو الوحيد القادر على ممارسة سلوك رمزي، وإذا كان من الممكن أن يتعلّم الحيوان كيفية استخدام هذه الرموز، فإنه لا يستطيع أن يخلّفها، فالثقافة في جوهرها هي تراكم لأنماط السلوك المتعلم، التي نشأت وتطورت بفضل الرموز التي ظهرت إلى الوجود عندما تعلّم الإنسان كيف يرمز للأشياء.[4]

---

[1]– محمد الجوهري، المرجع السابق، ص93.

[2]– السيد حافظ الأسود، المرجع السابق، ص 148.

[3]– محمد الجوهري، المرجع السابق، ص94.

[4]– محمد الجوهري، المرجع السابق، ص ص92–93.